وكنت اعلل النفس كل يوم بزوال الثلوج الطبيعية وانقشاع الغيوم المتلبدة في جو سياسة ايران لاكمل رحلتي الى طهران ومن هناك اهبط الى شيراز فخليج فارس . فلا الثلوج ذابت ولا الغيوم السياسية تبددت . فما كنت اسمع كل يوم الا ماكان يثبط عزيمتي فقرّ رأيي اخيراً ان ارجع الى بغداد واؤجل ذلك السفر المفيد الى فرصة اخرى . فتركتُ كرمانشاه في ظهر اليوم الخامس عشر من شباط وقفلت راجعاً الى بغداد . وحدث بعد ذلك في طهران وكرمانشاه ما حدث من حوادث السياسة الخطيرة . وان رجعت يوماً الى عاصمة هذه البلاد سأوافي القراء بوصفها

بغداد يوسف رزق الله غنيمة

زيادة سكان الارض

ووسائل معاشهم

(٢)

اذا بحثنا في احوال بلدان الارض من حيث سكانها وقدرتها على اخراج المؤونة اللازمة لهم وجدنا ما يأتي :

سكان الصين واقفون عند حدّ فواليدهم كثيرة ولكن وفياتهم كثيرة ايضاً. والبلاد تستطيع اطعام اهلها اذا روعيت فيها الطرق الزراعية حق المراعاة

ويقال عن بلدان شمال اسيا واواسطها والهند انها تستطيع تقديم الطعام اللازم لاهلها ولو زادوا زيادة صغيرة

واستراليا ونيوزيلندا يزيد سكانهما على نسبة كبيرة لا تلائم مقدرتهما الزراعية في المستقبل اي انهما تستطيعان ان تكفيا سكانهما الى مدة قصيرة فقط

اما اوربا فقد بلغ الزحام فيها حدهُ وجاوزهُ وشر بلادها من هذا القبيل انكلترا ويليها بلدان شمال اوربا . ولكن اذا بذلت اوربا جهداً عظيماً كافياً ومتواصلاً فانها تستطيع ان تكفي سكانها الحاليين بصعوبة ومشقة

واما افريقيا واميركا الجنوبية فان اراضيهما الزراعية تكفي لتموين عدد كثير من الخلق. نعم ان جزءاً كبيراً من ارضها داخل في المنطقة الحارة ولم يظفر الرجل

الابيض حتى الآن باعداد العدة الكافية التي تمكنهُ من استيطان البلاد الحارة ولكن لا يستبعد عليهِ التغلب على المصاعب التي تحول دون ذلك كما تغلب عليها في اميركا الشمالية فيطغى سيل المهاجرة اليها من اوزبا واسيا فتغص بالسكان. والعلم يدلنا على ان ذلك المهد ليس ببعيد جداً فاذا زاد عدد سكانها على نسبة زيادة سكان اميركا الشمالية في القرن الماضي فانهُ يصير الف مليون في عهد احفادنا

على ان تنازع الناس للبقاء في البلدان المزدحمة الآن يشتد اشتداداً لا يمكننا تصورهُ نحن الذين عشنا في ازمنة الري والشبع وذلك قبلما يبلغ سكان افريقيا واميركا الجنوبية العدد المذكور آنفاً. فيبذل كل بلد اقصى مجهوده في اخراج الطعام اللازم لاهلهِ اذ يبنت من المستحيل على اي بلد غير زراعي ان يحل المحل الذي تحلهُ انكلترا الآن وبعبارة اخرى انهُ لا يمكن في المستقبل اطعام البلد المزدحم باهلهِ بالوسائل التجارية. ولا اريد بذلك ان التجارة تزول ولكن يستحيل حينئذٍ اصدار مواد الطعام جملة اذ لا يسمح بها بلد من البلاد

خذ مثلاً لذلك الولايات المتحدة الاميركية فقد أحصي سكانها ١٣ مرة في ١٢٠ سنة وهي ليست بالمدة الطويلة في التاريخ واعمار الامم. ففي سنة ١٧٩٠ (اول احصاء) كان عددهم ٤ ملايين. وفي سنة ١٩١٠ (الاحصاء قبل الاخير) صار ٩٢ مليوناً. وبلغ عددهم ١٠٨ ٦٨٣ ١٠٥ في احصاء سنة ١٩٢٠ اي ان سكان البلاد تضاعفوا ٢٣ مرة في ١٢٠ سنة وزادوا نحو ٢٧ ضعفاً في ١٣٠ سنة

ثم ان عدد البيض في احصاء سنة ١٩١٠ كان ٨٢ مليوناً والسود — وفيهم عدد من الصفر — ١٠ ملايين. ومن البيض ١٤ مليوناً ولدوا خارج اميركا و١٨ مليوناً ولدوا من آباء وامهات مختلفي الجنسية فلا يبقى سوى نحو ٥٠ مليوناً من الاميركيين البيض الاصليين. وقد قدر بعضهم انهُ سيبلغ عدد سكان الولايات المتحدة ٣٨٦ مليوناً سنة ٢٠٠٠ و١١١٣ مليوناً سنة ٢١٠٠ وهو تقدير ربما كان عالياً ولكنهُ يبين باجلى بيان الحقيقة التي نريد توجيه الانظار اليها وهي ازدياد عدد السكان ازدياداً لا يتناسب مع ازدياد وسائل المعاش. فلا يمضي هذا الجيل في اميركا مثلاً حتى يبلغ عدد سكانها ٣٠٠ مليون ولا يترعرع اهل الجيل التالي او احفاد الرجال العائشين الآن حتى يصير عددهم ٧٠٠ مليون

ويؤخذ من تقدير آخر في اميركا ان سكانها زادوا ٢١ في المئة من احصاء سنة ١٩٠٠ الى احصاء سنة ١٩١٠ وان الاراضي الزراعية زادت في المدة عينها اقل من ٥ في المئة . وان نسبة ما يلحق الفرد من الاراضي المزروعة ذرة لم تزد من سنة ١٨٨٠ الى ١٨٩٠ بل بقيت ١٫١٦ طول تلك المدة ثم هبطت قليلاً . وبلغت في زراعة الحنطة ٠٫٦٧ في وقت من الاوقات فكان ذلك اعلى ما بلغتهُ ثم هبطت شيئاً فشيئاً الى ٠٫٥٢ من المجموع . وهذا هو حال الشوفان والبطاطس وغيرهما مع ميل الى الهبوط . ولم يشذ عن هذه القاعدة سوى الشعير لان الطلب عليهِ كان كثيراً لصنع المشروبات ولكنهم يتوقعون هبوط زراعتهِ اسوة بغيره على اثر القانون القاضي بحظر بيع المشروبات الروحية في اميركا

فاذا كانت هذه حالة اميركا من حيث اختلاف النسبة بين زيادة السكان وزيادة اسباب معاشهم وهي حديثة العهد بالعمران لا يكاد عمرانها يتجاوز قرناً من الزمان فما بالك بالبلاد القديمة التي مرّت عليها القرون كانكلترا وفرنسا والمانيا من اوربا وغيرها من بلدان سائر العمور

وقد كان موقف الفرنسويين الاقتصادي سنة ١٩١٤ موقفاً يحسدون عليهِ . فقد كان عددهم آخذاً في الزيادة ولو كانت تلك الزيادة بطيئة جدًّا وبلغوا من الرخاء حدًّا صيرهم في مقدمة امم الارض بسبب ضعف المزاحمة على وسائل معاشهم ولم يكونوا يخشون سوى امرين الواحد ان يهاجر الى فرنسا اقوام فقراء الحال يستطيعون ان يعيشوا باقل مما يعيش اهلها وزيادتهم الطبيعية اعظم من زيادة اهلها فتكون النتيجة انهم يحلون محل العنصر الفرنسوي الاصلي . والامر الثاني الذي كانوا يخشونهُ مهاجمة بلادهم من الشرق . وقد بني هذان الخوفان على اساس حقيقي فلا تزيلهما جمعية الامم ولا اشباهها . على ان الغريب ان يشجع زعماء الامم ازدحام السكان في بلادهم وما ينشأ عنهُ من الفقر والبأساء لتلطيف الخوف المستولي على الاذهان من الاعتداء وما يجرّ من البلاء .